جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي

"دراسة تحليلية"

إعداد الدكتور

محمد محمد بيومي البربري

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق

جامعة الأزهر - مصر

الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي (دراسة تحليلية)

محمد محمد بيومي البربري
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين - بدسوق - جامعة الأزهر - مصر
البريد الإلكتروني: MohamedBayoumi. 2230 @azhar.edu.eg

ملخص البحث:

هذا البحث إحدى المحاولات في التصوف الإسلامي إذ أنه يدرس الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي صاحب كتاب مفاتيح الغيب الذي بين فيه كثيراً من المعاني الصوفية التي لها الجلاء الواضح في بيان معاني الأحوال والمقامات الصوفية التي لها الأثر البالغ في نزعة الإمام الصوفية.

ويهدف البحث: إلى بيان أن مفهوم الأحوال والمقامات عند الإمام (الفخر الرازي) ما زال بكراً فآثرت أن يكون هذا البحث قائماً على الكشف عن تلك الأحوال والمقامات وتحليليها تحليلاً دقيقاً مما يؤكد أن الإمام (الفخر الرازي) أشعري المذهب، صوفي المشرب، وهذا واضح من خلال عقليته الفذة ومكانته العلمية المرموقة.

والمنهج المعتمد في البحث هو: المنهج التحليلي في دراسة القضايا المتعلقة بالبحث مثل مصطلح الحال والمقام والفرق بينهما وكذلك حال الخوف والرجاء وأيضا مقام التوبة والصبر وغيرهما من الأحوال والمقامات وتحليلها تحليلاً دقيقاً من خلال مؤلفاته الفذة.

من أهم نتائج البحث: الأحوال الصوفية كحال القرب مثلاً إنما معناه عند الرازي اعتراف بعجز النفس وبقدرة الرب، وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والانكسار، وكذلك مقام التوكل إنما معناه تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد عليه في كل الأحوال مبيناً أن أشرف الأحوال الباطنة، التوكل وأشرف الأعمال الظاهرة، الصلاة والزكاة.

الكلمات المفتاحية: الأحوال– المقامات– الفخر الرازي – الصوفية – تفسيره.

Sufi Conditions and Positions According to Al-Fakhr Al-Razi (Analytical Study)

Mohamed Mohamed Bayoumi Al-Barbari
Department of Creed and Philosophy,College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Disouq, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: MohamedBayoumi. 2230 **@azhar.edu.eg**

Abstract:

This research is one of the attempts in Islamic mysticism, as it studies the Sufi conditions and stations according to Al-Fakhr Al-Razi, the author of the book Keys to the Unseen, in which he explained many of the Sufi meanings that have a clear clarity in explaining the meanings of the Sufi conditions and stations that have a great impact on the Sufi tendency of Imam

The research aims: to show that the concept of states and stations in Imam (Al-Fakhr Al-Razi) is still virgin, so I chose to have this research based on revealing these states and stations and analyzing them carefully, which confirms that Imam (Al-Fakhr Al-Razi) is an Ash'ari madhhab, a Sufi Al-Mashrib, and this is clear from Through his inimitable mentality and prestige scientific..

The method adopted in the research is: the analytical method in studying the issues related to the research, such as the term status and station and the difference between them, as well as the state of fear and hope, as well as the station of repentance and patience and other conditions and stations, and analyzed them thoroughly through his inimitable works.

Among the most important results of the research: Sufi conditions such as proximity, for example, but its meaning according to Al-Razi is a recognition of the inability of the soul and the power of the Lord, and this indicates that there is no way to draw near to the presence of God except through impotence and defeat.Adverbs indicating that the most honorable inward conditions are trust and the most honorable outward deeds are prayer and zakat.

Keywords: Adverbs - Maqamat - Al-Razi's Pride - Sufism - its Interpretation.

المقدمة

الحمد لله الموصوف بالجلال والإكرام، نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لا والد له ولا ولد، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله صاحب الخلق العظيم فتح الله به أعيناً عميا وآذناً صما وقلوباً غلفاً؛ فصلوات الله وسلامه عليه في الأولين وفي الآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فإن القرآن الكريم يحتوي على شتى العلوم والمعارف، لمن يتدبره ويفهمه؛ ولذلك يقول (أبو حامد الغزالي) (المتوفى: ٥٠٥هـ) "أيها المسترسل في تلاوتك، المتخذ دراسة القرآن عملا، المتلقف من معانيه ظواهر وجملا، إلى كم تطوف على ساحل البحر مغمضا عينيك عن غرائبها؟ أو ما كان لك أن تركب متن لجتها لتبصر عجائبها؟ وتسافر إلى جزائرها لآجتناء أطايبها؟ وتغوص في عمقها فتستغني بنيل جواهرها؟ أو ما تعير نفسك في الحرمان عن دررها وجواهرها بإدمان النظر إلى سواحلها وظواهرها؟ أو ما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط؟ ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها"(١).

ومن هنا فإن علم التصوف الإسلامي من أجل العلوم وأعظمها وذلك؛ لتعلقه بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم، حيث يهتم هذا العلم بالأخلاق التي كانت هي الغرض من الرسالة النبوية الشريفة، ولقد كان لهذا العلم العظيم عند

(١) جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥ هـ) ج١، صـ٢١، ٢٢، المحقق الدكتور: الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

التابعين وتابعي التابعين مكانة بارزة من بين العلوم الإسلامية والفكرية على جهة الخصوص، ومن ثم فإن هناك ما يسمى بالمقامات والأحوال في فكر الإمام الجليل والمفسر العظيم ألا وهو البحر العلامة ((الفخر الرازي))[1] صاحب

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين بن على، القرشى، البكرى، التيمى، الطبرستانى الأصل، الرازى المولد، الشافعى المذهب المدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ابن خطيب الرى من أهم مدن إيران آنذاك. وأما كناه فكثيرة، وألقابه فأكثر، ويبقى ما اشتهر به، ولقب به (الفخر الرازى أو فخر الدين الرازى)، وكثرة الكنى والألقاب تدل على شرف صاحبها وعلو منزلته بين أقرانه وعلماء عصره، وقرأ الحكمة على المجد الجيلي بمراغة وتفقه على الكمال السمناني، ويقال إنه حفظ الشامل في علم الكلام لإمام الحرمين، وكان أول أمره فقيرا ثم فتحت عليه الأرزاق وانتشر اسمه، وبعد صيته وقصد من أقطار الأرض لطلب العلم، وكانت له يد طولى في الوعظ بلسان العربي والفارسي ويلحقه فيه حال، وكان من أهل الدين والتصوف، وله يد فيه وتفسيره ينبىء عن ذلك، وعبر إلى خوارزم بعد ما مهر في العلوم فجرى بينه وبين المعتزلة مناظرات أدت إلى خروجه منها ثم قصد ما وراء النهر فجرى له أشياء نحو ما جرى بخوارزم فعاد إلى الري، ثم اتصل بالسلطان شهاب الدين الغوري وحظي عنده، ثم بالسلطان الكبير علاء الدين خوارزمشاه محمد بن تكش ونال عنده أسنى المراتب واستقر عنده بخراسان واشتهرت مصنفاته في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها ورفضوا كتب المتقدمين ومن تصانيفه التفسير، والمطالب العالية، ونهاية العقول، والأربعين، والمحصل، والبيان، والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، والمباحث العمادية، والمحصول، وعيون المسائل، وإرشاد النظار، وأجوبة المسائل البخارية والمعالم، وتحصيل الحق والزبدة و، شرح الإشارات، وعيون الحكمة، وشرح الأسماء الحسنى وقيل شرح مفصل الزمخشري في النحو، ووجيز الغزالي في الفقه، وسقط الزند لأبي العلاء وله طريقة في الخلاف ومصنف في مناقب الشافعي حسن وغير ذلك؛ وأما كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم فلم يصح أنه له بل قيل إنه مختلق، و في سنة خمس وتسعين وخمس مائة فيها بعث الخليفة خلع السلطنة إلى خوارزم شاه. وفيها أخرج ابن الجوزي من سجن واسط، وتلقاه الناس وبقي في المطمورة خمس سنين. وفيها كانت فتنة الفخر الرازي صاحب التصانيف. وذلك أنه قدم هراة ونال إكرامًا عظيمًا من الدولة. فاشتد ذلك على الكرامية. فاجتمع يومًا هو والقاضي الزاهد مجد الدين ابن القدوة فتناظرا ثم استطال فخر الدين علي ابن القدوة وشتمه وأهانه. فلما كان من الغد جلس ابن عم مجد الدين فوعظ الناس وفي هذه الحادثة أيها الناس، إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله (ﷺ)، وأما علم أرسطاطاليس وكفريات ابن سينا، وفلسفة=

كتاب مفاتيح الغيب الذي بين فيه كثيراً من المعاني الصوفية التي لها الجلاء الواضح في بيان معاني الأحوال والمقامات الصوفية التي لها الشأن العظيم في بيان مكانة علم التصوف لدى العالم الجليل (فخر الدين الرازي) عليه سحائب الرحمن، يقول أبو حيان الأندلسي "حكي عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلا التفسير.[1]

=الفارابي، فلا نعلمها، فلأي حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله، وعن سنة نبيه! وبكى وضج الناس، وبكى الكرامية واستغاثوا، وأعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازي عن السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة، وكادوا يقتتلون، ويجري ما يهلك فيه خلق كثير، فبلغ ذلك السلطان، فأرسل جماعة من عنده إلى الناس وسكنهم، ووعدهم بإخراج الفخر من عندهم وتقدم إليه بالعود إلى هراة، فعاد إليها. يراجع طبقات الشافعية الكبرى المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) (٨٧/٨) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ،، يراجع: العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (١١٠/٣) المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيرو ت، يراجع: الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ)(١٦٦/١٠) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

(١) البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ)(٥٤٧/١) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

المنهج المستخدم

استخدم الباحث المنهج الوصفي وكذا المنهج التحليلي و "هو عزل صفات الشيء أو عناصره بعضها عن بعض بقصد معرفتها وإدراك كل منها إدراكاً كاملاً[1].

وقد جاءت الدراسة في هذا الموضوع بعنوان ((الأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي دراسة تحليلية)) وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب منها:

أولاً: بيان ما للتصوف الإسلامي من مميزات تعلي من شأنه بجانب العلوم الأخرى.

ثانياً: بيان حقيقة التصوف الإسلامي والدفاع عنه لا سيما وهو منهج الصحابة والتابعين وتابعبي التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

ثالثاً: مكانة الأحوال والمقامات في الفكر الإسلامي عامة والفكر الصوفي على وجه الخصوص وذلك لتعلقها بالجانب الروحاني ومعالجته وطهارته من الأدران والأحقاد.

رابعاً: مكانة الإمام الفخر الرازي من بين سائر المفسرين ونزعته الصوفية خاصة في بيان مكانة الأحوال والمقامات الصوفية وتطبيقها من خلال تفسيره العظيم.

هذا وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، في المقدمة ذكرت أسباب اختيار الموضوع وخطة والدراسة، وضمنت التمهيد تعريف بمصطلحي الحال والمقام في اللغة والاصطلاح، وجاءت المباحث الثلاثة على النحو التالي:

---

(١) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، الدكتور/ عوض الله حجازي، دار الطباعة المحمدية، ط: ٦ صـ ٢٤٦.

المبحث الأول: الأحوال الصوفية عند الفخر الرازي، ويشتمل على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: الطريقة والشريعة والفرق بينهما.

المطلب الثاني: حال المراقبة والقرب والحب.

المطلب الثالث: حال الشوق والطمأنينة.

المبحث الثاني المقامات الصوفية عند الفخر الرازي، ويشتمل على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مقام التوبة والصبر.

المطلب الثاني: مقام التوكل والرجاء والخوف.

المطلب الثالث: مقام الزهد والرضا.

المبحث الثالث التجليات الإلهية عند الفخر الرازي، ويشتمل على مطلبين هما:

المطلب الأول: تجليات البارئ على بعض عباده بذاته وصفاته وأفعاله.

المطلب الثاني: أنواع التجلي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم ما توصل إليها البحث، ثم الفهارس والمراجع والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾[1].

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

دكتور

محمد بيومي البربري

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات بدسوق

(١) سورة هود، من الآية: ٨٨.

تمهيد

التعريف بمصطلحي (الحال والمقام)

أولاً تعريف الحال في اللغة: جاء في المعجم الأوسط أن "(الحال) الوقت الذي أنت فيه والكساء يحتش فيه واللبن وحال الدهر صرفه وحال الشيء صفته وحال الإنسان ما يختص به من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية والعجلة يعلم عليها الصبي المشي والحال (في الطبيعة) كيفية سريعة الزوال من نحو حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة عارضة"[(١)] وعليه فالحال إنما هو صفة يتحلى بها الصوفي وذلك ؛لأنها تتعلق بالمحسوس وغيره من الأمور المعنوية.

ثانياً: الحال في الاصطلاح: يعرفه الجرجاني بقوله "الحال عند أهل الحق معنى يرد على القلب من غير تصنع، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من طرب، أو حزن، أو قبض، أو بسط، أو هيبة، ويزول بظهور صفات النفس، سواء يعقبه المثل أم لا"[(٢)] وعليه فالحال يدخل على القلب بدون اكتساب وهو قابل للاستمرار والزوال كالقبض الذي يقابل البسط وقد يزول عن الإنسان حينما تبدو ظهور النفس.

تعريف المقام في اللغة: جاء في كتاب تهذيب اللغة للهروي "أن المقام جمع مقامة ومقامات الناس: مجالسهم. ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة، ومقامة غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام ويقال: أقمت بالمكان

---

(١) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢٠٩/١) (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

(٢) كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)/٨١) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

مقاما وإقامة"[١] "والمقامة بالضم: الإقامة. والمقامة بالفتح: المجلس، والجماعة من الناس"[٢] ومن هنا فالمقام يعني المجلس أو المكان الذي يتخذه الإنسان في اجتماعه، هذا بالنسبة للشيء المحسوس، أما الشيء المعنوي الذي يقابل المحسوس فإنما يعني ما يسير عليه العبد في حياته من دوام (الذكر والتوبة والصبر) وغيرهم من المقامات والفضائل المحمودة التي حث عليها الإسلام والتي تحتاج إلى المجاهدة الروحية.

تعريف المقام عند الصوفية

يعرفه شارح المواقف بأنه: "عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف، فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك المقتدي هو الذي أدرك الإمام مع تكبيرة الافتتاح"[٣] ومن هنا فالمقام مكتسب بخلاف الحال فإنه موهبة يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده وهم الذين يطلق عليهم أهل الحقيقة من السادة الصوفية.

وقد عرف المقام صاحب الرسالة القشيرية بقوله "ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب بما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له،

---

(١) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)(٢٧٠/٩) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)(٢١٧/٥) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) التعريفات، للجرجاني، صـ٢٢٧.

وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد، والمقام هو الإقامة كالمدخل بمعنى الإدخال والمخرج بمعنى الإخراج، ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة"[(١)].

ومن هنا فالصوفي لا ينتقل من مقام إلى مقام آخر إلا إذا استوفى المقام الذي صار فيه، فهو ينتقل من طور إلى طور آخر على سبيل الترقي في السلم الصوفي لأهل الحقيقة حتى يصل إلى مقام الرضا الذي هو أعلى المقامات شوقاً، وفي كتاب طبقات الصوفية قوله حكاية عن أبي يزيد البسطامي "ولا ترتق إلى المقام الذي بلغ به بعد تلك المجاهدات فإن بلغ بك إلى شيء من ذلك فاحك إذ ذاك كلامه، فليس بعاقل من ضيع الأدنى من المقامات وادعى الأعلى منها"[(٢)] ومن هنا فالصوفي يرقي ويرتقي من درجة إلى درجة أعلى منها عن طريق المجاهدة الروحية أو الرياضة الصوفية "وهي تمرين النفس على قبول الصدق وهي على ثلاث درجات، والرياضة كما ذكرها الهروي"رياضة العامة تهذيب الأخلاق بالعلم وتصفية الأعمال بالإخلاص وتوفير الحقوق في المعاملة،

---

(١) الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفي: ٤٦٥هـ) (١٥٣/١) (المتوفى: ٤٦٥ هـ)(١٥٣/١) تحقيق: الإمام الدكتور: عبد الحليم محمود، الدكتور، الدكتور: محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

(٢) طبقات الصوفية، المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢ هـ)(١٩٨/١) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

ورياضة الخاصة حسم التفرق وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه وإبقاء العلم يجري مجاريه، ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ورفض المعارضات والمعاوضات"[(١)] وقد فرق بعض رجال الصوفية أمثال القشيري وابن القيم وغيرهما من أعلام التصوف الإسلامي على ما سنبينه في الصفحات القادمة بين (الحال والمقام) باعتبار أن كلاً منهما لا يستغني عنهما الصوفي بأي حال من الأحوال.

الفرق بين الأحوال والمقامات

من المعلوم أن الأحوال هبة من الله تعالى يعطيها لمن يشاء من صفوة عباده، والمقام يكتسبه الإنسان عن طريق المجاهدة الصوفية أو الرياضة الروحية، ومن ثم "فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود"[(٢)] وعليه فالفرق بين الأحوال والمقامات أن الأحوال مواهب والمقامات مكتسبة عن طريق الرياضة.

يقول الإمام القشيري "قال بعض المشايخ: الأحوال كالبروق فإن بقي فحديث نفس، وقالوا: الأحوال كاسمها يعني أنها كما تحل بالقلب تزول في الوقت، وأنشدوا:

لو لم تحل ما سميت حالا ** وكل ما حال فقد زالا

انظر إلى الفيء إذا ما انتهى ** يأخذ في النقص إذا طالا[(٣)]

(١) منازل السائرين، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ) ص٢٣ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) التعريفات، الجرجاني، صـ٨١.

(٣) الرسالة القشيرية، للقشيري (١٥٤/١)

ومن هنا فالحال ثابت لا يتغير فهو هبة من الله، بينما المقام صفة يتحلى بها الإنسان، ولذلك يفرق(ابن قيم الجوزي) بينهما بقوله" والفرق بينهما: أن المقامات كسبية، والأحوال وهبية، ومنهم من يقول: الأحوال من نتائج المقامات، والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملا كان أعلى مقاما، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا "[1].

وعليه، فالأحوال قد ذهب بعض الصوفية إلى دوامها واستمرارها؛ لأنها لولم تكن دائمة لم يصل صاحبها إلى الحال المطلوب؛ يقول القشيري" وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها، وقالوا: إنها إذا لم تدم ولم تتوال، فهي لوائح وبواده، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال، فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالا"[2]

وبالجملة فالأحوال والمقامات الصوفية بينهما فرق حيث إن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب هذا ما فهمناه من كلام السادة الصوفية وعليه فقد استخدم الإمام الفخر الرازي هذه المقامات وهذه الأحوال في تفسيره المعروف (بمفاتيح الغيب) ففي الصفحات القادمة سوف نعرض للمقامات الصوفية وكذا الأحوال من خلال تفسير الإمام لنكشف الغطاء عن هذه الأمور ولنبين كيف فسر هذا العالم هذه المقامات الصوفية تفسيراً إشارياً على ما ذهب إليه السادة الصوفية عليهم جميعا سحائب الرضوان.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)(١/١٥٥) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٢) الرسالة القشيرية، للقشيري (١/١٥٤)

المبحث الأول
الأحوال الصوفية عند الفخر الرازي

ويشتمل على:

المطلب الأول
الطريقة والشريعة والفرق بينهما عند الفخر الرازي

من المعلوم أن الطريق هو الذي يسلكه الصوفي فيرتقي من مقام إلى مقام بعد فترة تحتاج منه الصبر والتحمل عليها، ومن ثم؛ فالأحوال ترد على قلب الصوفي ولا يدركها إلا من صفا قلبه من جميع الضغائن التي تكون سبباً في عدم الوصول إلى الحقيقة الصوفية وعليه، فالطريقة والشريعة يسلكهما الصوفي ليحظى في النهاية بمقام الرضا الذي هو آخر المقامات، ففي السطور القادمة سنتعرض لمفهوم الطريقة والشريعة والرفق بينهما عند الإمام الرازي.

مفهوم الطريقة جاء في المعجم الوسيط أن "(الطريقة) الطريق والسيرة والمذهب و (الطريق) المطروق والممر الواسع الممتد أوسع من الشارع، ومسلك الطائفة من المتصوفة وجمعها طرق"[(١)] وعليه فالطريقة هي المسلك الذي يتخذه الصوفي في السير إلى الله تعالى، وذلك عن طريق الرياضة الروحية التي تعود الإنسان على تهذيب نفسه وتزكيتها حتى تصل إلى معرفة الله تعالى وتوحيده.

الطريقة في اصطلاح المتصوفة

يعرف السادة الصوفية الطريقة بأنها" هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[(٢)] ونجد حجة الإسلام يعرف

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٥٥٦/٢)

(٢) التعريفات، للجرجاني صـــ ١٤١.

الطريقة بقوله: "الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية"[(١)] وعلى هذا فالقلب إذا صفى وانتقى صار صاحبه على طريقة سوية وسلوك معتدل، وكل ذلك لا يحصل إلا إذا تخلى الإنسان عن الصفات المذمومة، وتحلى بالفضائل التي من خلالها يحصل العبد على رضا مولاه.

الطريقة عند الفخر الرازي

الفخر الرازي رضوان الله عليه استخدم لفظة الطريقة الصوفية عند تفسيره لقول الله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥}[(٢)] قال الفخر "ثم لما قرر أمر بإفراده بهذا الطريق أمره بثلاثة أشياء: **أولها:** مقام الشريعة، وهو أن يواظب على الأعمال الظاهرة، وهو قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} **وثانيها:** مقام الطريقة، وهو أن يحاول السفر من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فيرى عالم الشهادة كالمسخر لعالم الغيب، فيعلم أنه لا يتيسر له شيء من الأعمال الظاهرة إلا بمدد يصل إليه من عالم الغيب، وهو قوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} **وثالثها:** أنه يشاهد عالم **الشهادة معزولا بالكلية، ويكون الأمر كله لله** "[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)(١٩/٣) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٢) سورة الفاتحة آية: ٥.

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)(١٦٥/١) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ، بتصرف يسير.

ومن هنا فالإمام الرازي يبين أن السالك في الطريق الصوفي يتدرج في طريقه من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وهو في سيره يعلم أن المدد كله والعون من الله تعالى وحده، وفي موضع آخر يبين الإمام أن السالك وهو في وقوفه بين يدي الله تعالى يرتقي إلى ذروة الصلة بالله عن طريق المكاشفة، فيقول" ثم إذا انكشفت لك هذه الأحوال العالية والمراتب السامية فلا تظنن أنك بلغت الغور والغاية، بل عد إلى الإقرار للحق بالكبرياء، ولنفسك بالذلة والمسكنة، وقل: الله أكبر، ثم انزل من صفة الكبرياء إلى صفة العظمة، فقل: سبحان ربي العظيم، وإن أردت أن تعرف ذرة من صفة العظمة فاعرف أنا بينا أن العظمة صفة العرش، ولا يبلغ مخلوق بعقله كنه عظمة العرش وإن بقي إلى آخر أيام العالم، ثم اعرف أن عظمة العرش في مقابلة عظمة الله كالقطرة في البحر فكيف يمكنك أن تصل إلى كنه عظمة الله"[(١)] وعليه فالطريقة الصوفية يتدرج الإنسان من خلالها ليصل إلى مقام المناجاة وذلك عن طريق الرياضة الصوفية.

الشريعة في اللغة

جاء في لسان العرب لابن منظور أن" الشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها"[(٢)] واشتق من ذلك الشرعة

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٣٩/١).

(٢) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)(١٧٥/٨) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

في الدين والشريعة. قال الله تعالى: {مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ}[1]، وقال سبحانه: {ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ}[2] ومن الباب: أشرعت الرمح نحوه إشراعا"[3] وعليه فالشريعة مورد الشيء، وتعني أيضاً الطريقة أو السنة المتبعة، أو التي يسير عليها الناس في حياتهم ومعاشهم.

الشريعة في الاصطلاح عند السادة الصوفية

يعرفها صاحب كتاب التعريفات بقوله" الشريعة: هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة: هي الطريق في الدين"[4] وقيل" الشِّرعةُ والشريعة: "الطريقة الظاهرة للدين"[5] ومن هنا فالشريعة تعني الطريق الظاهر الواضح الذي لا خفاء فيه ولا غموض "فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر"[6] فالصوفي إنما يتبع منهج الله تعالى وكذا سنة رسوله الكريم واتباع شرعه كما جاء في طبقات الصوفية للسلمي أن الصوفي مأخوذ من "تصفية القلب عن

---

(١) سورة المائدة من الآية: ٤٨.

(٢) سورة الجاثية من الآية: ١٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)(٢٦٢/٣) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤) التعريفات، للجرجاني، صـ ١٢٧).

(٥) التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٢/١) الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٦) الرسالة، للقشيري (١٩٥/١).

موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوي النفسانية، ومنازلة صفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول (ﷺ) في الشريعة"[(١)] ومن هنا فالشريعة هي اتباع منهج الله والسير على شريعة نبيه، ومفارقة الأخلاق الزميمة التي تنافي شرعه تعالى، والالتزام بمنهج الله على قدر الطاقة البشرية، وهذا ما يتبعه السادة الصوفية في حياتهم الدنيوية.

الشريعة عند الإمام الفخر الرازي

نجد أن العلامة الرازي قد استخدم لفظة الشريعة التي هي بمعنى الاتباع عند السادة الصوفية وذلك عند بيانه لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[(٢)] قال (رحمه الله) "مقام الشريعة، وهو أن يواظب على الأعمال الظاهرة"[(٣)] وعليه فالعبد حينما يواظب على الأعمال الظاهرة كالصلاة والصوم وسائر العبادات التي تحتاج إلى مشقة، فهذا يدل على المجاهدة الصوفية التي هي أساس من أسس المدرسة الصوفية على الاطلاق، ومن ثم فالإنسان الذي يطبق الشريعة فهذا يعني مقام الشريعة، وفي موضع آخر يقول (الفخر الرازي) "الإنسان، إما أن يكون في مقام الشريعة وهو مقام النفس الأمارة، وهاهنا لا بد له من هاهنا لا بد له من حديد المجاهدة والرياضيات الشاقة"[(٤)] فالنفس الأمارة تحتاج إلى مجاهدة وهذا ما يشمر إليه الصوفية ولذلك يقول أكبر رجالهم وهو

(١) طبقات الصوفية، للسلمي (٣٤٦/١).
(٢) سورة الفاتحة من الآية: ٥.
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٦٥/١).
(٤) المصدر السابق (٤٧٠/٢٩).

حجة الإسلام (الإمام الغزالي) "فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى"[(١)].

الفرق بين الشريعة والطريقة عند الفخر الرازي

يتبع الفخر الرازي الصوفية ويمدحهم ويسير على منوالهم ونهجهم، فنجده في كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين في الباب الثامن حيث ذكر أحوال الصوفية قائلاً "اعلم أن أكثر من قص فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية ولأن الطريق الى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن وهم فرق:

الأولى: أصحاب العبادات، وهم قوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة

الثانية: أصحاب العبادات، وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال

الثالثة: أصحاب الحقيقة، وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية وهم يجتهدون أن لا يخلوا سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى وهؤلاء خير فرق الآدميين"[(٢)].

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (١٩/٢).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)(٧٢/١) المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

وعليه، فالإمام (رحمه الله) يصف الطريق الصوفي بأنه معرفة الله، ومعناه تنقية الباطن مع الظاهر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية، ومع ذلك فهم في جهاد دائم لأنفسهم؛ للوصول إلى معرفة الله وذلك عن طريق الشريعة، والطريقة الصوفية.

ولقد ذكر صاحب كتاب (الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار) نقلاً عن أبي حنيفة النعمان طيب الله ذكره قوله "قال الاستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته مع صلابته في مذهبه وتقدمه في هذه الطريقة: سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصراباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو أخذها من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي. وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله، فعجبا لك يا أخي: ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا متهمين في هذا الاقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة، وأرباب الشريعة والحقيقة، ومن بعدهم في هذا الامر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود ومبتدع"[1] فالقدوة في السير على الطريقة الحسنة أمر محمود حث عليه الشرع الحنيف، وهذا ما سار عليه السادة الصوفية في حياتهم.

(١) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ)(١٤/١) المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

المطلب الثاني
حال المراقبة والقرب والحب عند الفخر الرازي

أولا: حال المراقبة

المراقبة عند الصوفية هي "استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله"[(١)] فالعبد حينما يعلم أن الله وحده هو المطلع عليه في جميع أحواله، ويخفى عليه شيء من أمره، فإنه لا يمكن أن يقترف ذنباً سواء أكان صغيراً أم كبيراً.

يقول حجة الإسلام" وصف المراقبة للعبد إنما يحمد إذا كانت مراقبته لربه وقلبه وذلك بأن يعلم أن الله تعالى رقيبه وشاهده في كل حال، ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدو له، وأنهما ينتهزان منه الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة، فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما، حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري، فهذه مراقبته[(٢)] وعليه فإن المراقبة معناها أن يكون حال العبد دائماً وأبداً في حال مراقبة في جميع أعماله الظاهرة والباطنة.

والفخر الرازي يبين حال المراقبة وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢}[(٣)] "والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك. ومن هذا صفته فإنه يجب أن يخاف ويرجى، فبين تعالى أنه يعلم السر وأخفى،

---

(١) التعريفات، للجرجاني، صـ ٢١٠.

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥ هـ) (١١٨/١) المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٣) سورة الأحزاب من الآية: ٥٢.

وأنه إذا كان كذلك يجب أن يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتي ويترك"[١] ومن هنا فالرازي (رحمه الله) يبين أن المراقبة يراد بها خوف العبد من الله في السر والعلن، واستمرار الإنسان في هذه المراقبة يرقى به إلى درجة الإحسان التي قال عنه الفخر الرازي" الإحسان الذي هو أعلى درجات العبادة، فإن الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه ليس بغافل عن أحواله كان أحرص على العمل وأكثر التذاذا به وأقل نفرة عنه، وخامسها: أن الخادم إذا علم اطلاع المخدوم على جميع أحواله وما يفعله كان جده واجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن المحظورات أشد مما إذا لم يكن كذلك"[٢] وقد جاء تعريف الإحسان في حديث النبي (ﷺ) ((الإحسان أن تعبد الله كانك تراه فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ))[٣] فهذه شهادة العارفين ومعرفة الموقنين، فهم مخلصو المخلصين[٤] وإن كان لي أن أدلو بدلوي فالإمام الفخر الرازي قد استخدم حال المراقبة بمعنى استدامة العبد الخوف والوجل من مولاه في السراء والضراء وعليه فإن حال الصوفي دائما في وجل وطرب وخوف من الله تعالى.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٤٨٢/٩)

(٢) المصدر السابق (٣٢٠/٥)

(٣) جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) صحيح مسلم"، كتاب"الآداب"، باب في أحاديث متفرقة (٢٢٩٤/٤)(٢٩٩٦)، وأحمد في"مسنده" (١٠٩/٤٢) (٢٥١٩٤).

(٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦ هـ) (٢٧٥/٢) المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م.

يقول القشيري: "المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة وسئل ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال: مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال إبراهيم الخواص المراعاة تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى..[١]

ثانيا حال القرب

القرب معناه: هو قرب العبد من الله تعالى بكل ما تعطيه السعادة، لا قرب الحق من العبد، فإنه من حيث دلالة: {يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ}[٢] قرب عام، سواء أكان العبد سعيدًا أم شقيًا.[٣] فالقرب من الله منة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم وشرف كبير في قربه من مولاه، وهذا يعني غاية السعادة القصوى في القرب الإلهي بالمواظبة على الطاعات والبعد عن المعاصي والملذات ابتغاء رضوان الله.

القرب عند الفخر الرازي

القرب عند الفخر الرازي يكون في حالة الاستعاذة بالله من الشيطان، ففي هذه الحالة يكون الإنسان في غاية القرب الإلهي، فيقول "أن قوله: (أعوذ بالله) اعتراف بعجز النفس وبقدرة الرب، وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والانكسار"[٤] هذا في حق البشر أما بالنسبة لقرب الملائكة لا يعني به القرب المكاني الذي يقصد به العندية؛ لأنه يستلزم الجسمية المحالة على الله تعالى، فيقول" ليس المراد من هذه العندية عندية المكان والجهة

(١) الرسالة، للقشيري (٣٣١/١).
(٢) سورة الحديد من الآية: ١٧٤/٤).
(٣) التعريفات، للجرجاني، صـــــ١٧٤.
(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٩١/١).

فإن ذلك محال على الله تعالى بل عندية القرب والشرف، ولما كانت هذه الآية واردة في صفة الملائكة علمنا أن هذا النوع من القرب والشرف حاصل لهم لا لغيرهم[(١)].

وقد يكون القرب من الله أي قربه تعالى من العباد ولا عكس، فهذا فيه إشارة إلى حال القرب في قول الله تعالى: {عِبَادِي عَنِّي}[(٢)] يقول الفخر الرازي "لم يقل: فالعبد مني قريب، بل قال: أنا منه قريب، وفيه سر نفيس فإن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو هو في مركز العدم وحضيض الفناء، فلا يمكنه القرب من الرب أما الحق سبحانه فهو القادر من أن يقرب بفضله وبرحمته من العبد، والقرب من الحق إلى العبد لا من العبد إلا الحق"[(٣)] ومن هنا فحال القرب عند الفخر الرازي يراد به أن يكون العبد الذي هو ممكن الوجود على قرب من مولاه بأداء الفرائض المكتوبة والمحافظة عليها بل يزداد القرب، وذلك حينما يتقرب العبد بالنافلة الزائدة على الفريضة وهذا حال أهل الحقيقة يتقربون إليه بالنوافل حتى ينالون شرف المحبة التي يترتب عليها سعادتهم في الدنيا وفوزهم برضوان الله تعالى في الآخرة.

ثالثا: حال الحب عند الفخر الرازي

الحب معناه كما قال القشيري: "اسم لصفاء المودة؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حبب الأسنان وقيل: الحباب: ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذا المحبة غليان القلب وتوارنه عند العطش، والاهتياج إلى لقاء المحبوب، وقيل: إنه مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٣٠/٢)

(٢) سورة البقرة من الآية: ١٨٦.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦٤/٥).

فسمى بذلك؛ لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير وهو أن يبرك فلا يقوم، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه وقيل: الحب مأخوذ من الحب وهو القرط"[(١)]، وينكشف لي من خلال النص السابق أن الحب الإلهي هو ثبات الصوفي على معرفة الله تعالى معرفة لا يشوبها شك ولا ريبة.

وقد جاء حال الحب عند الفخر الرازي (رحمه الله) في أكثر من موضع فمن المواضع التي ورد فيها حال الحب عند الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ﴾[(٢)] حيث قال: "وأما العارفون فقالوا: المؤمنون هم الذين عرفوا الله بقدر الطاقة البشرية، وقد دللنا على أن الحب من لوازم العرفان فكلما كان عرفناهم أتم وجب أن تكون محبتهم أشد"[(٣)] فالحب عند الصوفية ملزوم ولازم فإذا وجد الملزوم وجد اللازم وإذا انتفى الملزوم انتفى اللازم. والصوفية حالهم دائماً وأبداً إدمان النظر في آثار النعم وتحرك قلبه مع ربه فلا يفتر لسانه عن ذكره ودوام محبته، وإلى هذه الإشارة يقول ابن حزم: "من علامات الحب "إدمان النظر؛ والعين باب النفس الشارع، وهي المنقبة عن سرائرها، والمعبرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها. فترى الناظر لا يطرف، ينتقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال، كالحرباء مع الشمس"[(٤)].

---

(١) الرسالة، للقشيري (٤٨٦/٢).

(٢) سورة البقرة من الآية: ١٦٥.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٧٨/٤)

(٤) طوق الحمامة في الألفة والألاف المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)(١٠٣/١) تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧م

والرازي (رحمه الله) يبين لنا حال العارفين حينما يستغرقون في حب الله فإن قلوبهم تنفر عما سوى الله ؛لأن القلب لا يسع شيئاً آخر سوى الله وعليه فإن "العبد إذا كثرت مطالعته لدقائق حكمة الله تعالى، كثر ترقيه في مقام محبة الله، فإذا كثر ذلك صار ذلك سببا لاستيلاء حب الله تعالى على قلب العبد، وغوصه فيه على مثال القطرات النازلة من الماء على الصخرة الصماء فإنها مع لطافتها تثقب الحجارة الصلدة فإذا غاصت محبة الله في القلب تكيف القلب بكيفيتها، واشتد ألفه بها وكلما كان ذلك الألف أشد كان النفرة عما سواه أشد ؛لأن الالتفات إلى ما عداه يشغله عن الالتفات إليه والمانع عن حضور المحبوب مكروه فلا تزال تتعاقب محبة الله، ونفرته عما سواه على القلب، ويشتد كل واحد منهما بالآخر، إلى أن يصير القلب نفورا عما سوى الله تعالى، والنفرة توجب الإعراض عما سوى الله، والإعراض يوجب الفناء عما سوى الله تعالى فيصير ذلك القلب مستنيرا بأنوار القدس، مستضيئا بأضواء عالم العصمة فانيا عن الحظوظ المتعلقة بعالم الحدوث وهذا المقام أعلى الدرجات، وليس له في هذا العالم مثال إلا العشق الشديد على أي شيء كان فإنك ترى من التجار المشغوفين بتحصيل المال من نسي جوعه وطعامه وشرابه عند استغراقه في حفظ المال فإذا عقل ذلك في ذلك المقام الخسيس فكيف يستبعد ذلك عند مطالعة جلال الحضرة الصمدية"[(١)] وعليه فأهل الحقيقة في حب الله مستغرقون، وعن الدنيا معرضون، وإلى ربهم راغبون.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٧٧/٤)

المطلب الثالث
حال الشوق والطمأنينة عند الفخر الرازي

أولا: حال الشوق معناه: اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق[(١)] فالقلب يشتاق إلى محبوبه كما يقول السيد الشريف "الشوق: نزاع القلب إلى لقاء المحبوب"[(٢)]

وعرفه الفخر الرازي بقوله "اعلم أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه، ولم يدرك من وجه، فأما الذي لم يدرك أصلا، فلا يشتاق إليه، فإن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه، لم يتصور أن يشتاق إليه، ولو أدرك كماله لا يشتاق إليه، ثم إن الشوق إلى المعشوق من **وجهين. أحدهما:** أنه إذا رآه ثم غاب عنه اشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية، **الثاني:** أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره، ولا سائر محاسنه، فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط، والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين، فإن الذي اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح، مشوب بشوائب الخيالات"[(٣)] وإن كان لي أن أدلو بدلوي فإن الصوفي يرى سائر النعم وكذا آثارها فيشتاق إلى رؤية المنعم، وقد جاء الشوق عند الفخر الرازي في الفصل التاسع في الأسماء الحاصلة لله تعالى من باب الأسماء المضمرة في كتابه المسمى بمفاتيح الغيب أو التفسير الكبير حيث ذكر قوله "أسرار من التصوف في لفظ «هو» في هذا الذكر: أن المواظبة على هذا الذكر تفيد الشوق إلى الله، والشوق، إلى الله ألذ المقامات وأكثرها بهجة وسعادة، إنما

(١) الرسالة، للقشيري (٤٩٦/٢).
(٢) التعريفات، للجرجاني (١٢٩/١).
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٧٧/٤).

قلنا إن المواظبة على هذا الذكر تورث الشوق إلى الله وذلك؛ لأن كلمة (هو) ضمير الغائب، فالعبد إذا ذكر هذه الكلمة علم أنه غائب عن الحق ثم يعلم أن هذه الغيبة ليست بسبب المكان والجهة، وإنما كانت بسبب أنه موصوف بنقصانات الحدوث والإمكان، ومعيوب بعيب الكون في إحاطة المكان والزمان، فإذا تنبه العقل لهذه الدقيقة وعلم أن هذه الصفة حاصلة في جميع الممكنات، والمحدثات فعند هذا يعلم أن كل المحدثات والإبداعيات غائبة عن عتبة علو الحق"[(١)] فالممكنات كلها غائبة عن الحضرة الإلهية، فكلمة (هو) تفيد الغياب أي غياب العبد عن مولاه، وبالتالي يكون الإنسان مشتاقاً إلى رؤية الحق جل وعلا.

الشوق إلى الله أعظم المقامات عند الرازي

ويعلل الفخر الرازي كون الشوق الصوفي أعظم المقامات عند أهل الحقيقة بقوله: "لأن الشوق يفيد حصول آلام ولذات متوالية متعاقبة، لأن بقدر ما يصل يلتذ وبقدر ما يمتنع وصوله إليه يتألم، والشعور باللذة حال زوال الألم يوجب مزيد الالتذاذ والابتهاج والسرور، وذلك يدل على أن مقام الشوق إلى الله أعظم المقامات، فثبت أن المواظبة على ذكر كلمة «هو» تورث الشوق إلى الله تعالى وثبت أن الشوق إلى الله أعظم المقامات وأكثرها بهجة وسعادة فيلزم أن يقال: المواظبة على ذكر هذه الكلمة تفيد أعلى المقامات وأسنى الدرجات"[(٢)] وقال أبو عثمان الحيري في قول الله تعالى: {مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ}[(٣)] "هذا تعزية للمشتاقين معناه: أني أعلم أن اشتياقكم إلى غالب وأنا أجلت للقائكم أجلا، وعن

(١) المصدر السابق (١/١٣٦، ١٣٧).
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١/١٣٧).
(٣) سورة العنكبوت من الآية: ٥.

قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه"[١] ومن هنا فالشوق الصوفي معناه اشتياق القلب إلى رؤية مولاه؛ وذلك لأنه يفيد ذهاب الألم من القلب، ولا يحصل ذلك إلا إذا صفا القلب من جميع النقائص التي تحجب العبد عن رؤية مولاه.

مراتب الشوق عند الفخر الرازي

للشوق الصوفي عند الرازي مراتب ذكرها في قوله: "واعتقد أن تصوره غائب عن العقل والفكر والذكر، فصارت تلك الكمالات مشعورا بها من وجه دون وجه، والشعور بها من بعض الوجوه يشوق إلى الشعور بدرجاتها ومراتبها، وإذا كان لا نهاية لتلك المراتب والدرجات فكذلك لا نهاية لمراتب هذا الشوق، وكلما كان وصول العبد إلى مرتبة أعلى مما كان، أسهل كان شوقه إلى الترقي عن تلك الدرجة أقوى وأكمل"[٢] وإن كان لي أن أدلو بدلوي فإن مراتب الشوق عند الإمام الرازي إنما هي درجات كلما رقي درجة فإنه يرتقي إلى مولاه حتى يصل إلى مرتبة الشوق التي هي اللذة والسعادة القصوى.

ثانيا: حال الطمأنينة عند الفخر الرازي

معنى الطمأنينة كما يقول(ابن القيم) (رحمه الله): "ومقام الطمأنينة جامع للإنابة والتوكل، والتفويض والرضى والتسليم، فهو معنى ملتئم من هذه الأمور، إذا اجتمعت صار صاحبها صاحب طمأنينة، وما نقص منها نقص من الطمأنينة"[٣] فإذا اطمأن قلب العبد أصبح العبد راضيا ومفوضا جميع أموره إلى الله وحده.

---

(١) الرسالة، للقشيري (٤٩٩/٢)

(٢) امفاتيح الغيب، للرازي (١٣٧/١).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (١٥٧/١).

ولقد جاءت لفظة الطمأنينة عند الفخر الرازي في أكثر من موضع، فقد جاءت في قول الله تعالى: { ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ }[1].

يقول الفخر الرازي: "أن الموجودات على ثلاثة أقسام: مؤثر لا يتأثر، ومتأثر لا يؤثر، وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء، فالمؤثر الذي لا يتأثر هو الله (ﷻ)، والمتأثر الذي لا يؤثر هو الجسم، فإنه ذات قابلة للصفات المختلفة والآثار المتنافية، وليس له خاصية إلا القبول فقط. وأما الموجود الذي يؤثر تارة ويتأثر أخرى، فهي الموجودات الروحانية، وذلك لأنها إذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكوينه وإيجاده وإذا توجهت إلى عالم الأجسام اشتاقت إلى التصرف فيها، لأن عالم الأرواح مدبر لعالم الأجسام. وإذا عرفت هذا: فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليها والتصرف فيها، أما إذا توجه القلب إلى مطالعة الحضرة الإلهية حصل فيه أنوار الصمدية والأضواء والإلهية، فهناك يكون ساكنا"[2]، فهذه الموجودات التي تتوجه إلى الحضرة الإلهية يتجلى عليها الملك بفيضه، وهذا لا يحدث إلا إذا داوم الإنسان على ذكر مولاه وتعلقه به في جميع الأوقات.

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٩/٤٠).

المبحث الثاني
المقامات الصوفية عند الفخر الرازي

ويشتمل على:

المطلب الأول
مقام التوبة والصبر عند الفخر الرازي

أولا: مقام التوبة: أول مقام من مقامات السالكين في الطريق إلى الله تعالى ويعتبر كالأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له، ولذلك يبين الغزالي (رحمه الله) "أن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين"[(١)] وعليه فالتوبة عند السادة الصوفية معناها كما يقول الإمام القشيري "التوبة الرجوع يقال تاب أي رجع فالتوبة الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه"[(٢)]

كما يعرفها الفخر بقوله "والتوبة لفظة يشترك فيها الرب والعبد، فإذا وصف بها العبد فالمعنى رجع إلى ربه؛ لأن كل عاص فهو في معنى الهارب من ربه، فإذا تاب فقد رجع عن هربه إلى ربه فيقال: تاب إلى ربه، والرب في هذه الحالة كالمعرض عن عبده، وإذا وصف بها الرب تعالى فالمعنى أنه رجع على عبده برحمته وفضله، ولهذا السبب وقع الاختلاف في الصلة، فقيل في العبد: تاب إلى ربه. وفي الرب على عبده وقد يفارق الرجل خدمة رئيس فيقطع

---

(١) إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)(٢/٤) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٢) الرسالة، للقشيري (٢٠٧/١)

الرئيس معروفه عنه، ثم يراجع خدمته، فيقال: فلان عاد إلى الأمير والأمير عاد عليه بإحسانه ومعروفه"[١] وإن كان لي أن أدلو بدلوي في هذا المقام أنه يجب على التائب أن يبتعد كل البعد عن أرض المعصية ؛لأنها أرض سوء فالبعد عنها يكون وقاية للإنسان من الولوج في بئر المعصية كما أن القرب منها يؤدي بالإنسان إلى التلوث بها، وهذا بالإضافة إلى شروط التوبة.

يقول أبو طالب المكي: "من شرط التوبة أن ينبغي للتائب المنيب أنه يبدأ بمباينة أهل المعاصي ثم بنفسه التي كان يعصى الله تعالى لها ولا ينيلها إلا ما لا بدّ منه، ثم الاعتزام على أن لا يعود في معصية أبداً، ويلقى عن الناس مؤونته، ويدع كل ما يضطره إلى جريرة، ولا يتبع هوى، ويتبع من مضى من السلف"[٢].

وقد تحدث الإمام الرازي عن مقام التوبة في أكثر من موضع حيث يشترط الرازي في التوبة من الندم والعزم على عدم العودة، وهذا هو حال المريدون من أهل الحقيقة، و "لا بد في التوبة من ترك ذلك الذنب، ومن الندم على ما سبق، ومن العزم على أن لا يعود إلى مثله، ومن الإشفاق فيما بين ذلك كله، أما أنه لا بد من الترك فلأنه لو لم يترك لكان فاعلا له فلا يكون تائبا، وأما الندم فلأنه لو لم يندم لكان راضيا بكونه فاعلا له، والراضي بالشيء قد يفعله والفاعل للشيء لا يكون تائبا، وأما العزم على أن لا يعود إلى مثله فلأن فعله معصية، والعزم على المعصية معصية، وأما الإشفاق فلأنه مأمور بالتوبة، ولا سبيل له إلى القطع بأنه أتى بالتوبة كما لزمه فيكون خائفا"[٣]

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٦٨/٣).
(٢) قوت القلوب، للمكي (٣٠٦/١).
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٠/١٩).

وجملة القول: فمقام التوبة يعد وسيلة لتحقيق هدف المريد، وهو البعد كل البعد عن المعاصي التي تكون سببا في البعد عن الله تعالى، فحال المريد دائما التوبة والرجوع إلى الله تعالى، والندم على الفعل وعدم العودة ورد المظالم... إلخ، وتتنوع تلك التوبة حسب مكانة العبد عند ربه، فهناك توبة الأنبياء وتوبة العامة وتوبة الخواص كل بحسب قربه من مولاه.

يقول الكلاباذي: "سئل (الجنيد بن محمد) عن التوبة ما هي؟ فقال هو نسيان ذنبك، وسئل (سهل)عن التوبة فقال هو: أن لا تنسى ذنبك، فمعنى قول (الجنيد) أن تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك خروجا لا يبقى له في سرك أثر حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط قال (ذو النون) توبة العام من الذنب وتوبة الخاص من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم"[(١)]

ثانيا: مقام الصبر عند الفخر الرازي

الصبر عند الجرجاني: "هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله"[(٢)] ويقول الكلاباذي "قال (سهل) الصبر انتظار الفرج من الله تعالى قال، وهو أفضل الخدمة، وأعلاها وقال غيره الصبر أن تصبر في الصبر، معناه أن لا تطالع فيه الفرج[(٣)] "وسئل (الجنيد)عن الصبر فقال: تجرع المرارة من غير تعبيس"[(٤)] أي تحمل الإنسان تحمل مشقة التكاليف الشرعية دون شكوى أو تقصير؛ لأنه يثق بأنها من عند الله تعالى.

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي، صـــ٩٣.

(٢) التعريفات، للجرجاني، صـــ ١٣١.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوفى، للكلاباذي، صـــ ٩٤.

(٤) الرسالة، للقشيري، (٣٢٢/١)

يقول (أبو محمد الجريري): "الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما، والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة"[(١)] ومن هنا فالصبر عند الصوفي حاله مع النعمة والمحنة سواء إلا أن التصبر هو سكون البلاء عند العبد مع شدة المحن.

ولقد تحدث (الفخر الرازي) عن مقام الصبر في "مفاتيح الغيب" في أكثر من موضع للدلالة على مكانته الصوفية بين سائر المفسرين هذا بجوار أشعريته الفذة، وعقليته الباهرة في مؤلفاته خاصة هذا الكتاب العريق، ففي قول الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾[(٢)] يقول الفخر الرازي "والمراد كونهم صابرين في أداء الواجبات والمندوبات، وفي ترك المحظورات وكونهم صابرين في كل ما ينزل بهم من المحن والشدائد، وذلك بأن لا يجزعوا بل يكونوا راضين في قلوبهم عن الله تعالى"[(٣)] فهم صابرون في كل الأحوال لا يجزعون ولا يتكاسلون في أداء الواجبات فضلاً عن المندوبات.

أقسام الصبر عند الفخر الرازي

يقسم الفخر الرازي الصبر إلى **قسمين الأول:** "وهو أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتقى كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين"[(٤)] فمن صبر واتقى ربه فهو في معية الله تعالى لا يضره شيء. يقول الجيلاني "فالصبر على **ثلاث أضرب: أحدها:** صبر الله (ﷻ)، وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه. وصبر مع الله (ﷻ)، وهو الصبر

(١) المصدر السابق (٣٢٢/١).
(٢) سورة البقرة من الآية: ١٧٧.
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٦٦/١).
(٤) المصدر السابق(٣٤٤/٤)

تحت جريان قضائه وافعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا. وصبر على الله (ﷻ)، وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب في دار الآخرة"[(١)]

القسم الثاني من أقسام الصبر عند الرازي قدس الله سره وهو "الصبر على فعل العبادات والصبر على ثقل الأمراض والمضار، والغموم والأحزان، والصبر على ترك المشتهيات وبالجملة الصبر على ترك المعاصي وعلى أداء الطاعات"[(٢)] أي أن العبد يصبر على السراء والضراء فهو في الحالتين سواء لا يجزع من المرض أو الحزن؛ لأن كل ذلك إنما هو تمحيص للإنسان وزيادة رتبته ومكانته عند ربه، وهذا هو حال الأنبياء "فإنهم كانوا أيضا من الصابرين على الشدائد والمحن والعبادة، أما إسماعيل (عليه السلام) فلأنه صبر على الانقياد للذبح، وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء، وصبر في بناء البيت، فلا جرم أكرمه الله تعالى وأخرج صلبه خاتم النبيين"[(٣)]

وإن كان لي أن أدلو بدلوي في مقام الصبر وهو أن يصبر المريد على طاعة الله تعالى ثم على معصيته أي يبتعد عنها كل البعد بأن يتحمل المشاق من أجل عدم الوقوع فيها، ثم الصبر الذي يسمى بالصبر عند الصدمة الأولى الذي هو أعلى درجات الصبر، وعليه فإن أهل الحقيقة يصبرون ويتحملون ويسلمون جميع أمورهم إلى الله تعالى وحده.

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق (ﷻ)، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١ هـ)(٣٢٧/٢) المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٥/١٩).

(٣) المصدر السابق (١٧٦/٢٢).

المطلب الثاني
مقام التوكل والرجاء والخوف عند الفخر الرازي

أولاً مقام التوكل: وهو عبارة عن "الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس"[(١)] وهذا هو حال الصوفية تجدهم دائما وأبدا في ثقة بما عند الله تعالى يقول الإمام القشيري "وأعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى وإن تعسر شيء فبتقديره وإن اتفق شيء فبتيسيره"[(٢)] فالحركة واضحة والأخذ بالأسباب أمر لابد منه، وإذا تعسرت الأمور فهذا بتقدير الله تعالى وحده "قال الجنيد: حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل"[(٣)] ومن هنا فمقام التوكل من المقامات التي تقرب الإنسان من خالقه لا سيما في الرد على من يقولون بدعوى أن الصوفية يتركون حالهم ومالهم ويجلسون في الموالد وعند أضرحة الأولياء من آل البيت، وهذه دعوى لا دليل عليها والكلام إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، فالسادة الصوفية لهم مقام ومكان عزيز بين المحبين والمريدين وذلك؛ لأنهم يعتمدون على مدد الله وقوته،فهم يبروؤن من حولهم وقوتهم ويلجأون إلى حول الله وقوته.

التوكل عند الفخر الرازي فقد تحدث عنه الشيخ في أكثر من موضع وعرفه بقوله: "التوكل على الله عبارة عن تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى"[(٤)] وعليه فإن التوكل هو تفويض

---

(١) التعريفات، للجرجاني، صـــ ٧٠).

(٢) الرسالة، للقشيري (٢٩٨/١).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (١٠١/١).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي ٢٩٠/١٧).

الأمر لله والاعتماد عليه في كل الأحوال، والإمام الرازي (رحمه الله) يقسم الأعمال إلى أعمال ظاهرة وأعمال باطنة في قول الله تعالى: {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[1] فيقول "إنه تعالى خص من الصفات الباطنة التوكل بالذكر على التعيين، ومن الأعمال الظاهرة الصلاة والزكاة على التعيين، تنبيها على أن أشرف الأحوال الباطنة، التوكل، وأشرف الأعمال الظاهرة الصلاة والزكاة"[2].

ومن هنا فالتوكل أمر يحتاج إلى مجاهدة النفس؛ لأن الإنسان يحتاج فيه إلى التفرقة بين الشرك الخفي وبين التوحيد الخالص الذي هو المطلب الأصيل، يقول حجة الإسلام "التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين، وهو في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في ألسنة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل"[3].

وقيل: "التوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين. وقيل: التوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خاص الخاص. وقيل: التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم، والتفويض صفة نبينا صلوات الله عليهم أجمعين"[4]، فالتسليم والتفويض من خصائص الصوفي الحق ومن ثم فهناك علاقة وطيدة بين الصبر وبين التوكل بينها الفخر

(١) سورة الأنفال من الآية: ٤.
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٥٦/١٥).
(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢٤٣/٤).
(٤) الغنية، الكيلاني (٣١٦/٢).

الرازي بقوله" الصبر والتوكل، أما الصبر فللسعي في قهر النفس، وأما التوكل فللانقطاع بالكلية من الخلق والتوجه بالكلية إلى الحق، **فالأول:** هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى. **والثاني:** آخر هذا الطريق ونهايته"[(١)].

التوكل لا يتم إلا بأمور:

الإمام الرازي عدد أموراً لا يمكن أن يتحقق التوكل إلا بها وهي:

أولاً: "معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله، والانخراط في سلك الخواص من عباده، وهذه أسرار نفسية هي المقصد الأقصى من هذه الآيات، فلا ينبغي أن يكون العاقل غافلا عنها"[(٢)].

ثانياً: ومع المعرفة التامة يجب الأخذ بالأسباب والمسببات، فالله هو المريد، والممكنات كلها مستندة إليه، وعلى هذا فقد أخذ بالأسباب والمسببات سيد الخلق وإمام المتوكلين يقول (ابن رشد) الحفيد" صاحب الإيمان الصحيح بالقدر يباشر الأسباب المباحة بيده، ويبذل معه في الأخذ بالأسباب ولا يعجز ولا يتواكل، ولكنه يعتمد على الله وحده في نجاح تلك الأسباب المبذولة لا على الأسباب ذاتها، ولقد كان كذلك سيد المرسلين وإمام المتوكلين محمد (ﷺ)، فقد اختفى (ﷺ) في الغار يوم الهجرة، وهذا منه (ﷺ) يعتبر تعليماً للأمة في الأخذ بالأسباب ومباشرتها، وقد فعل ذلك في سبيل التخلص من شر المشركين ولكنه لم يكن اعتماده في الخلاص على السبب نفسه، وإنما كان اعتماده على الله العلي القدير"[(٣)].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/٢١٠).

(٢) السابق نفسه (٥/٣١٩).

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد (السنة الحادية عشرة – العدد الأول)، المؤلف: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ)(١/١٠٣) الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية عشرة – العدد الأول – غرة رمضان ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

ثالثاً: وبعد الانتهاء من الأسباب إلى مسببها، وقطع النظر عن كل الممكنات والمبدعات، وتوجيه حدقة العقل إلى نور عالم الجلال، واستغراق الروح في أضواء عالم الكبرياء، ومن وصل إلى هذه الدرجة رأى كل ما سواه مهرولا تائها في ساحة كبريائه هالكا فانيا في فناء سناء أسمائه."[(١)] وكل ذلك لن يأتي إلا بالترقي في عالم الملكوت والاعتماد عليه "فالتوكل على الله في اعتماده وسكونه. وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره. وليس في قلبه التفات إلى غيره، كما قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل. لا يعرف شيئا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه"[(٢)].

رابعاً: وإذا كان الاعتماد على الله وحده لا على غيره من أهم الأمور التي يجب أن تتوفر في الإنسان المتوكل فإن حسن الظن من أهمها بل من أعظمها؛ لأنه يعد ملزوماً للتوكل والتوكل لازم، ووجود الملزوم يدل على وجود اللازم، فإذا وجد حسن الظن وجد التوكل ولا عكس" فعلى قدر حسن ظنك به ورجائك له يكون توكلك عليه"[(٣)].

خامساً: "لما كانت معرفة أنه لا إله إلا هو توجب تفويض كل الأمور إليه دل هذا على أن من لا يفوض كل الأمور إليه، فإنه غير عالم بحقيقة لا إله إلا هو، وتقريره أن كل ما سواه ممكن ومحدث، وكل ممكن ومحدث، فإنه ما لم ينته إلى الواجب لذاته لم يجب، ولما كان الواجب لذاته واحدا كان جميع

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٤١٤/١٨).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (١٢١/٢).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ)(٢٧٣/٥) المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

الممكنات مستندة إليه، منتهية إليه"[١] ومع الاستسلام يكون "التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته. وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلبا واختيارا"[٢].

ثانيا: مقام الرجاء عند الإمام الرازي ودلالته

الرجاء في الاصطلاح: "هو تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل"[٣] أي أن القلب يتعلق بالخير وحصوله في المستقبل دون الخوف من فواته والرجاء عند السادة الصوفية هو "تعلق القلب بمحجوب سيحصل في المستقبل. وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها"[٤].

فالخوف والرجاء يتفقان في الوقوع في المستقبل فبينهما عموم وخصوص من وجه فهما، يتفقان في شيء وهو الوقوع في المستقبل، وينفرد الرجاء في توقع محبوب، بينما ينفرد الخوف في توقع شيء مكروه، وفي قول الله تعالى: {مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ}[٥] يقول الفخر الرازي: "من كان يخاف الله وهو أيضا ضعيف، فإن المشهور في الرجاء هو توقع الخير لا غير ولأنا أجمعنا على أن الرجاء ورد بهذا المعنى، يقال أرجو فضل الله ولا يفهم منه أخاف فضل الله، وإذا كان واردا لهذا لا يكون لغيره دفعا للاشتراك"[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٦٨٨/٨٠).
(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (١٢٢/٢).
(٣) التعريفات، للجرجاني صـــ ١٠٩.
(٤) الرسالة، للقشيري (٢٥٩/١)
(٥) سورة العنكبوت من الآية: ٥.
(٦) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/٥٢)

ومقام الرجاء عند الفخر الرازي يظهر في كون العبد بين (الخوف والرجاء) اللذين يستلزمان الحكمة الإلهية، ومن هنا" فالحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء وبين الخوف اللذين بهما تتم العبودية، وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف بإحاطة علم الله بالكل وجريان قضائه وقدره في الكل"[(١)] ومن هنا فالرجاء يعتبر أهم شيء في حياة الإنسان؛ وذلك لاعتماد الإنسان من خلاله على حسن الظن المأمور به من قبل الشرع الحنيف" فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطير لا يطير إلا بجناحيه، كذلك لا يؤمن من لا يرجو من آمن به ويخافه وهو أيضاً مقام من حسن الظن بالله تعالى وجميل التأميل له"[(٢)].

وفي قول الله تعالى: {وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦٓ}[(٣)] بين الرازي (رحمه الله) أن الرجاء في جانب الله يليق بالله وحده حيث قال: "وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى"[(٤)].

رأي الفخر الرازي في ذكر الرجاء دون الخوف

في قول الله تعالى: {مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾}[(٥)] وضح الفخر السبب في ذكر الرجاء دون الخوف فقال "إن المؤمن لا بد وأن يرجو رحمة الله؛ لأنه قاطع بأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر وأن الرجاء هاهنا بمعنى التوقع؛ لأن الراجي للشيء متوقع له، إلا أن أشرف أقسام التوقع هو

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦٤/٥)
(٢) قوت القلوب، لأبي طالب المكي (٣٥٩/١)
(٣) سورة الزمر من الآية: ٩.
(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٢٩/٢٦)
(٥) سورة نوح آية: ١٣

الرجاء فسمي الجنس باسم أشرف أنواعه، و أن في هذه الآية تنبيها على أن الحساب مع الله جانب الرجاء فيه أغلب من جانب الخوف، وذلك لأن للعبد حقا على الله تعالى بحكم الوعد في جانب الثواب، ولله تعالى حق على العبد في جانب العقاب، والكريم قد يسقط حق نفسه، ولا يسقط ما كان حقا لغيره عليه، فلا جرم كان جانب الرجاء أقوى في الحساب، فلهذا السبب ذكر الرجاء، ولم يذكر الخوف[١].

ومن هنا فمقام الرجاء يتوجه إلى القلوب بينما الخوف يتوجه إلى الأبدان أكثر من توجهه إلى القلوب ويعلل الفخر الرازي هذه الإشارة الصوفية قائلاً "لأن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف، ولأن الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هو القلوب والأرواح"[٢] وعليه فإن الرجاء ذاتي لا يحتاج إلى غيره، بينما الخوف من العرضيات التي تتحول وتتبدل من وقت إلى وقت آخر فأهل الحقيقة قلوبهم متعلقة بربهم يرجون رحمته ويخشون عذابه في جميع أوقاتهم.

ثالثا مقام الخوف عند الفخر الرازي ودلالته

يعرف الخوف بأنه: "توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب"[٣] أي أن الخوف يدور بين **أمرين وهما: الأول:** حلول شيء مكروه **والثاني:** فوات شيء محبب إلى النفس، فهذان الأمران يدور بينهما مقام الخوف الصوفي، ولذلك حال السادةالصوفية دائماً كون الإنسان خائفاً من مولاه.

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/٣١)

(٢) المصدر السابق (٤٤٨/٢٦)

(٣) التعريفات، للجرجاني/١٠١)

ففي كتاب التعرف للكلاباذي يعرف الخائف بأنه هو "الذى يكون بحكم كل وقت، فوقت تخافه المخلوقات، ووقت تأمنه الذى تخافه المخلوقات هو الذى غلب عليه الخوف فصار خوفا كله فيخافه كل شيء، كما قيل من خاف الله خافه كل شيء، والذي أمنته المخاوف هو الذي إذا طرقت المخاوف أذكاره لم تؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله تعالى، ومن غاب عن الأشياء غابت الأشياء عنه"[(١)].

معنى الخوف عند الإمام الرازي

الخوف عند الإمام الرازي معناه أن يكون مسبوقا بالعلم، وذلك حال المريدين عرفوا ربهم فخافوه واتقوه، يقول الفخر الرازي: "واعلم أن الخوف من الله، لا بد وأن يكون مسبوقا بالعلم بالله على ما قال: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا}[(٢)] ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى، لا جرم قدم العلة على المعلول[(٣)] ومن هنا فالعلة هي العلم والمعلول هو الخوف الناتج عن هذه العلة؛ لأن وجود المعلوم لازم عن وجود علته كما فهمنا.

أوجه الخوف عند الفخر الرازي

الإمام الرازي جعل للخوف من الله بالنسبة للمكلفين من بني البشر على وجهين، ذكرهما في تفسيره، وهما:

أحدهما: مع العلم، فإذا كان على يقين من أنه أتى بكل ما أمر به واحترز عن كل ما نهي عنه فإن خوفه إنما يكون عن المستقبل، وعلى هذا نصف الملائكة والأنبياء چ بالخوف والرهبة.

---

(١) التعرف، للكلاباذي (٩٧/١)

(٢) سورة فاطر من الآية: ٢٨.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠/٣١).

والثاني: مع الظن فإذا لم يقطع بأنه فعل المأمورات واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب، واعلم أن كل من كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس"[(١)] وقد ذكر (رحمه الله) حال العارفين من أهل الحقيقة بالنسبة للخوف فقال: "قال العارفون: **الخوف خوفان** خوف العقاب وخوف الجلال، **والأول:** نصيب أهل الظاهر، **والثاني:** نصيب أهل القلب، والأول: يزول، والثاني: لا يزول[(٢)].

ومن هنا فالخوف من الله تعالى عند الفخر الرازي لابد أن يسبقه علم بالله تعالى، فالعبد حينما يعرف مولاه فإنه يخشاه هذا بخلاف من لا يعرفه فكيف يخشاه؟ وأن يكون هذا الخوف مستلزما لحسن الظن؛ لأن العبد إذا أحسن الظن بالله تعالى كان خائفاً منه ومن كان هذا حاله فقد بلغ المنزل.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٨٢/٣).
(٢) السابق نفسه (٤٨٢/٣).

المطلب الثالث
مقام الزهد والرضا عند الفخر الرازي

أولا مقام الزهد عند الفخر الرازي

الزهد يتعلق بالحالة النفسية للمريد، فإذا صحت توبة الإنسان أصبح حاله في الدنيا زاهداً فيها، يقول أبو حامد الغزالي "الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى ... والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى ... فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول"[(١)].

ومن هنا يتبين من كلام الغزالي أن الإنسان لا يرغب إلا في الآخرة، ولا يرغب إلا في حب الله وحده فينال الحظوظ الغالية من النعيم الأبدي، وقد بين الفخر معنى الزهد فقال "إن صدق الإيمان بالله ووعده ووعيده يوجب للإنسان الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والاستعداد للموت"[(٢)]، فإن الإيمان بالله تعالى والتصديق بكل ما عند الله من الجنة والنار والوعد والوعيد، وغير ذلك، فكل هذا يجعل الإنسان يزهد في الدنيا ويستعد لدار الخلود ويتجافى عن دار الخلود.

الأوجه الواردة في معنى الزهد عند الفخر الرازي

ذكر الإمام الرازي عدة أوجه في المعنى المراد من مقام الزهد فقال: "ومعنى الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا إذا لم يرغب فيه وأصله القلة. يقال: رجل زهيد إذا كان قليل الطمع، وفيه وجوه:

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢١٧/٤)

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠٦/٣٢)

أحدها: أن إخوة يوسف باعوه؛ لأنهم كانوا فيه من الزاهدين.

والثاني: أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين؛ لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بأي شيء يبيعه أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان.

والثالث: أن الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين"[(١)].

وإن كان لي أن أدلو بدلوي في هذا فأقول: إن الزهد في الدنيا أن يكون الإنسان مشمراً عن سواعد الجد في دنياه، ومتوكلاً على ربه في جميع أموره، مستعداً للقائه ومقبلاً عليه وبهذا يكون من الزاهدين، وهو قلة الرغبة في الشيء الزائل والاقبال على ما هو دائم وباق.

ثمرة مقام الزهد عند الفخر الرازي

الفخر الرازي يتعرض لمقام الزهد: فقد ذكر في تفسيره أن المقامات الصوفية من يترقى فيها، فلابد له من المجاهدة والرياضة الروحية، وعلى رأس هذه المقامات مقام الزهد الذي يفرق فيه الإنسان بين الحلال والحرام في الدنيا، وهما من أهم الأمور التي يجب على الإنسان أن يقف عندهما فقال "ومن كان في مقام الزهد كانت طهارته من الدنيا حلالها وحرامها، ومن كان في مقام الإخلاص كانت طهارته من الالتفات إلى أعماله، ومن كان في مقام المحسنين كانت طهارته من الالتفات إلى حسناته، ومن كان في مقام الصديقين كانت طهارته من كل ما سوى الله، وبالجملة فالمقامات كثيرة والدرجات متفاوتة كأنها غير متناهية"[(٢)].

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٣٤/١٨)

(٢) المصدر السابق (٢٣٧/١)

ثانيا: مقام الرضا ودلالته عند الفخر الرازي

الرضا معناه: "هو "اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدما ولا متأخرا ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا"[(١)] أي أن العبد يرضى بما قدره الله له، ويرضى بقضائه وقدره خيره وشره وبهذا فقد يتحقق فيه مقام الرضا،يقول الإمام القشيري "واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفنون محن المسلمين وقال المشايخ: الرضا باب الله الأعظم يعنون أن من أكرم بالرضا فقد لقى بالترحيب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى.[(٢)]

دلالة مقام الرضا عند الرازي

يرى الفخر الرازي أن مقام الرضا يتحقق في العبد عندما يرضى بالله رباً، ويرضى بكل ما جاء من عند الله ولا يحزن على شيء، فقال: "وأفضل الأعمال الرضا عن الله، ولا ينبغي للمسلم أن يحزن؛ لأنه يعلم أن لكل مصيبة ثوابا"[(٣)] فالرازي يجعل لكل مصيبة ثواباً لا يعلمه إلا الله تعالى، فعلى درجة الصبر والرضا تكون درجة العبد عند ربه.

طرق الرضا عند الفخر الرازي

هناك طريقان ينال من خلالهما العبد مقام الرضا الصوفي ذكرهما الفخر الرازي في تفسيره فقال: العبد إنما يصبر راضيا بقضاء الله تعالى بطريقين:

---

(١) منازل السائرين، للهروي، صـــ٥١.

(٢) الرسالة، للقشيري (٣٤٢/٢)

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (١٣٤/٤)

الأول: إما بطريق التصرف. أما طريق التصرف فمن وجوه

أحدها: أنه متى مال قلبه إلى شيء والتفت خاطره إلى شيء جعل ذلك الشيء منشأ للآفات فحينئذ ينصرف وجه القلب عن عالم الحدوث إلى جانب القدس.

وثانيها: أن لا يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة فحينئذ يرجع العبد إلى الله تعالى"[(١)].

وثالثها: أن العبد متى توقع من جانب شيئا أعطاه الله تعالى بلا واسطة خيرا من متوقعه فيستحي العبد فيرجع إلى باب رحمة الله"[(٢)]، فالعبد يأخذ طريق التصرف ويصرف قلبه إلى ما يرضي مولاه وبهذا ينال رضا مولاه، فالعبد يدور حاله بين **أمرين وهما:** أن يجعل هذا البلاء من باب الخير، **والثاني:** أن لا يجعله بلاء وإنما هو من باب رحمة الله تعالى به دون غيره من الناس.

والثاني: بطريق الجذب

ومن الطرق التي توصل العبد إلى مقام الرضا ((طريق الجذب))؛ لأن هناك فرقاً بين العبد وبين خالقه من حيث صفات الألوهية والعبودية، يقول الرازي: "ومن جذبه الحق إلى نفسه صار مغلوبا ؛لأن الحق غالب لا مغلوب، وصفة الرب الربوبية، وصفة العبد العبودية، والربوبية غالبة على العبودية لا بالضد، وصفة الحق حقيقة، وصفة العبد مجاز، والحقيقة غالبة على المجاز لا بالضد، والغالب يقلب المغلوب من صفة إلى صفة تليق به، والعبد إذا دخل على السلطان المهيب نسي نفسه وصار بكل قلبه وفكره وحسه مقبلا عليه ومشتغلا به وغافلا عن غيره، فكيف بمن لحظ نصره حضرة السلطان الذي كان من

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٣٤/٤)

(٢) المصدر السابق (١٣٤/٤)

عداه حقير بالنسبة إليه، فيصير العبد هنالك كالفاني عن نفسه وعن حظوظ نفسه فيصير هنالك راضيا بأقضية الحق (ﷻ) وأحكامه من غير أن يبقى في طاعته شبهة المنازعة "[1].

ومن هنا فالرازي يجعل العبد يمر بمراحل البلاء مرحلة تلو الأخرى حتى يكون أهلاً لئن يرضى الله عنه، فيكون العبد في هذه المراحل فانياً ينسى حظوظ نفسه حتى يصير من أهل الرضا، وهذا ما يفعله السادة الصوفية، فإنهم يذوقون ألوان البلاء لكن الواحد منهم" يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارهاً بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضياً بها، ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه"[2].

ومن هنا فمقام الرضا يعتبر آخر المقامات في الحصول عليه عند السادة الصوفية؛ لأن غرضهم رضا الله تعالى عنهم؛ ولذلك يقول القرآن: {رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ}[3].

(١) مفاتيح الغيب (١٣٤/٤).
(٢) إحياء علوم الدين (٣٤٤/٤)
(٣) سورة البينة من الآية: ٨.

يقول (الإمام القشيري): " الرضا سرور القلب بمرّ القضا. ويقال: هو سكون القلب تحت جريان الحكم"[(١)] فالعبد عنده سرور بقضاء الله حلوه ومره يرض بما قدر الله تعالى؛ ولذلك فإن الحق (ﷻ) لم يقل" رضي الرب عنهم ولا سائر الأسماء؛ لأن أشد الأسماء هيبة وجلالة لفظ (الله)؛ لأنه هو الاسم الدال على الذات والصفات بأسرها أعني صفات الجلال وصفات الإكرام، فلو قال: رضي الرب عنهم لم يشعر ذلك بكمال طاعة العبد لأن المربي قد يكتفي بالقليل، أما لفظ الله فيفيد غاية الجلالة والهيبة، وفي مثل هذه الحضرة لا يحصل الرضا إلا بالفعل الكامل والخدمة التامة"[(٢)].

من هنا يتبين لي أن (الإمام الرازي) (رحمه الله) قد استخدم مقام الرضا الصوفي في أكثر من موضع للدلالة على كون هذا اللفظ يطلق ويراد به التسليم المطلق لله تعالى وحده؛ لأنه هو المتصرف في الكون وحده، فيبتلي الإنسان على قدر إيمانه حتى يصل إلى مرحلة الرضا بالله وعن الله، وبالتالي يكون عنه الحق راضيا.

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥ هـ)(٣/٧٥٤) المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة .

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٤/١٣٤).

المبحث الثالث

التجليات الإلهية عند الإمام الرازي

ويشتمل على مطلبين هما:

المطلب الأول

تجلي الباريء على بعض عباده بذاته وصفاته وأفعاله

معنى التجلِّي: هو "ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي، فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة"[(١)] أي أن أسماء الله تعالى لكل اسم سر وله تجلٍ من المولى على بعض العباد، وهذا التجلي لا يوصف به إلا السادة الصوفية **(رضوان الله عليهم أجمعين)**، ويطلق مصطلح التجلي عند السادة الصوفية على "رفع حجبة البشرية لا أن تتلون ذات الحق جل وعز عن ذلك وعلاو الاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ومعنى رفع حجبة البشرية أن يكون الله تعالى يقيمك تحت موارد ما يبدو لك من الغيب؛ لأن البشرية لا تقاوم أحوال الغيب"[(٢)] ولأن الغيب ليس مكشوفاً للبشر؛ لأنه لو انكشف لسقطت عنهم التكاليف، وعلى ذلك فإن مقام التجلي يكون لأهل الحقيقة "فهو الظهور من غير تشبيه ولا تكييف"[(٣)] وعليه ظهور الباريء (ﷻ) دون كيفية؛ لأن ذلك يستلزم الجسمية

---

(١) منازل السائرين، الهروي صـــ٥١.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي (١٢٢/١)

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٧٦/٣) المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بـــن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥ هـــ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيـــروت، الطبعـــة: الأولـــى – ١٤١٨هـــ).

وهي محالة في حقه تعالى"[١] فتجلي الذات يقصد به المكاشفة وهي "كشوف القلب في الدنيا[٢].

التجلي عند الفخر الرازي

يرى الفخر الرازي أن التجلي من الله تعالى يكون بذاته أو بصفاته أو بأفعاله،وهذا ظاهر في الكون الفسيح، فيقول "لا شك أنه تعالى يتجلى لعقول الخلق، إلا أن لذلك التجلي **ثلاث مراتب:** فإنه **في أول الأمر** يتجلى بأفعاله وآياته، **وفي وسط الأمر** يتجلى بصفاته، **وفي آخر الأمر** يتجلى بذاته، قيل إنه تعالى يتجلى لعامة عباده بأفعاله وآياته[٣].

وهذا التجلي الذي ذكره الفخر الرازي قد استدل على كل نوع من هذه الأنواع سالفة الذكر بآيات من الذكر الحكيم.

النوع الأول من أنواع التجلي وهو: "أنه تعالى يتجلى لعامة عباده بأفعاله وآياته، {وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾}[٤] ال - : {إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ}[٥].

والنوع الثاني كما يقول الرازي وهو: أن يتجلى لأكابر الأنبياء ورؤساء الملائكة بذاته {قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾}[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٤٣/١)

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي (١٢١/١)

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٤٤/١)

(٤) سورة الشورى من الآية: ٢٢.

(٥) سورة آل عمران من الآية: ١٩٠ .

(٦) سورة الأنعام من الآية: ٩١.

إذا عرفت هذا فنقول: اسم الله (ﷻ) أقوى الأسماء في تجلي ذاته؛ لأنه أظهر الأسماء في اللفظ، وأبعدها معنى عن العقول، فهو ظاهر باطن، يعسر إنكاره. ولا تدرك أسراره"[1]

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٤٣/١)

المطلب الثاني
أنواع التجلي عند الفخر الرازي

للتجلي أنواع ذكرها السيد الشريف الجرجاني وهي:

الأول: التجلي الذاتي: ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار. صفة من الصفات معها، وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات، إذ لا ينجلي الحق من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية [(١)]، فالله تعالى يتجلى على الموجودات ولكن لابد من الحجب التي يجعلها الله بينه وبين عباده، وهذا ما حدث لسيدنا موسى (عليه السلام) حينما طلب الرؤية من ربه.

وهذا التجلي الذاتي ما هو إلا رحمة من الله بعباده، يقول ابن القيم: "ولا يعتقد أن الذات المقدسة والأوصاف: برزت وتجلت للعبد – كما تجلى سبحانه للطور، وكما يتجلى يوم القيامة للناس – إلا غالط فاقد للعلم. وكثيرا ما يقع الغلط من التجاوز من نور العبادات والرياضة والذكر إلى نور الذات والصفات. فإن العبادة الصحيحة، والرياضة الشرعية، والذكر المتواطئ عليه القلب واللسان: يوجب نورا على قدر قوته وضعفه. وربما قوي ذلك النور حتى يشاهد بالعيان. فيظنه فيه ضعيف العلم والتمييز بين خصائص الربوبية ومقتضيات العبودية. فيظنه نور الذات، وهيهات! ثم هيهات! نور الذات لا يقوم له شيء، ولو كشف (سبحانه وتعالى) الحجاب عنه لتدكدك العالم كله، كما تدكدك الجبل وساخ لما ظهر له القدر اليسير من التجلي" [(٢)].

---

(١) التعريفات، للجرجاني، صـــ٥٢.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (١١٠/٣)

ولذلك فإن من أسماء الله ((الرحمن)) "فحظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله (ﷻ) بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف"[(١)].

والثاني: التجلي الصفاتي: وهو "ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات" (٢) وقد تحدث الإمام الرازي عن هذا التجلي وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ}[(٣)] فقال: "إن المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشفات والتجلي، والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي والأنوار الإلهية فقوله أرني كيف تحي الموتى طلب لذلك التجلي والمكاشفات فقال أولم تؤمن قال بلى أؤمن به إيمان الغيب، ولكن أطلب حصولها ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي"[(٤)].

فسيدنا إبراهيم قد تجلى عليه الملك، فآراه كيفية إحياء الموتى وهو دليل من أدلة أنواع وقوع البعث عند المتكلمين، وقد يحصل العبد على درجة اليقين حينما يعبد ربه ويؤمن بجميع الأنبياء والرسل، فيصل إلى اليقين الذي أعطاه الله لسيدنا إبراهيم حيث قال الله {وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾}[(٥)] يقول الفخر وفي هذا" إشارة إلى درجات أنوار التجلي وشروق شمس المعرفة والتوحيد.[(٦)]

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي، صـــ٩٠.

(٢) التعريفات، للجرجاني صـــ ٥١.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١٦٠..

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٥/٧)

(٥) سورة الأنعام من الآية: ٧٥.

(٦) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٨/١٣)

وهذه الأنوار التي يتجلى بها الحق؛ لانهاية لمراتب التجلي والكشف والمعرفة"[١] وأعظم التجلي تجلي الله على عباده في الآخرة وهذه هي السعادة الأخروية. "وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين"[٢] ومن هنا فالتجلي يكون في الدنيا وفي الآخرة لكنه في الآخرة أعظم، وذلك حينما يرى العبد ربه، فهذه منة عظمى لا يحظى بها إلا أهل الحقيقة.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٤٥١/١٥).

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٣٢٣/٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسر لي وأعانني على إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي، وأوجز في هذه الخاتمة أهم النتائج التي اشتمل عليها هذا البحث المتعلق ((بالأحوال والمقامات الصوفية عند الفخر الرازي دراسة تحليلية))، وذلك فيما يلي

١- اتضح من خلال الدراسة أن الإمام الفخر الرازي (رحمه الله) له نزعة صوفية في هذا العلم مما يؤكد كونه أشعري المذهب، صوفي المشرب، وهذا واضح من خلال عقليته الفذة ومكانته العلمية المرموقة.

٢- ظهر من خلال الدراسة أن الفرق بين الشريعة والطريقة الصوفية قد ذكرها الفخر الرازي مبينا الفرق بينهما، فمقام الشريعة، هو أن يواظب على الأعمال الظاهرة، ومقام الطريقة، هو أن يحاول السفر من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فيرى عالم الشهادة كالمسخر لعالم الغيب، فيعلم أنه لا يتيسر له شيء من الأعمال الظاهرة إلا بمدد يصل إليه من عالم الغيب.

٣- تبين من خلال الدراسة الأحوال الصوفية كحال القرب مثلاً إنما معناه عند الرازي اعتراف بعجز النفس وبقدرة الرب، وهذا يدل على أنه لا وسيلة إلى القرب من حضرة الله إلا بالعجز والانكسار.

٤- برز من خلال الدراسة أن الحب الإلهي عند الفخر الرازي معناه أن العبد إذا كثرت مطالعته لدقائق حكمة الله تعالى، كثر ترقيه في مقام محبة الله، فإذا كثر ذلك صار ذلك سببا لاستيلاء حب الله تعالى على قلب العبد.

٥- اتضح من خلال الدراسة أن مقام الشوق الصوفي عند الرازي إنما هو من أعظم المقامات عند أهل الحقيقة وذلك؛ لأنه يفيد حصول آلام ولذات متوالية متعاقبة، لأنه بقدر ما يصل يلتذ وبقدر ما يمتنع وصوله إليه يتألم، والشعور

باللذة حال زوال الألم يوجب مزيد الالتذاذ والابتهاج والسرور، وذلك يدل على أن مقام الشوق إلى الله أعظم المقامات.

٦- تبين من خلال الدراسة أن مقام الصبر عند الفخر الرازي معناه أنه كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتقى كل ما نهى الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين.

٧- برز من خلال الدراسة أن مقام التوكل إنما معناه تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى مبيناً أن أشرف الأحوال الباطنة، التوكل وأشرف الأعمال الظاهرة، الصلاة والزكاة.

٨- اتضح من خلال الدراسة أن الحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء وبين الخوف اللذين بهما تتم العبودية، وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف بإحاطة علم الله بالكل وجريان قضائه وقدره في الكل.

٩- تبين من خلال الدراسة أن التجلي له ثلاث مراتب: فإنه في أول الأمر يتجلى بأفعاله وآياته، وفي وسط الأمر يتجلى بصفاته، وفي آخر الأمر يتجلى بذاته، قيل إنه تعالى يتجلى لعامة عباده بأفعاله وآياته.

١٠- ظهر من خلال الدراسة أن أعظم التجلي تجلي الله على عباده في الآخرة وهذه هي السعادة الأخروية، وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع والمصادر

١. **القرآن الكريم**

٢. إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٥. التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٦. التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٧. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ).

٩. جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٠. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ) المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١١. الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٣. طبقات الشافعية الكبرى المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٤. طبقات الصوفية، المؤلف: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروتالطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٥. طوق الحمامة في الألفة والألاف المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧م.

١٦. العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٧. العقل والنقل عند ابن رشد (السنة الحادية عشرة – العدد الأول)، المؤلف: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الحادية عشرة – العدد الأول – غرة رمضان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٨. الغنية لطالبي طريق الحق (ﷻ)، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١هـ) المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
١٩. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٢٠. الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٢١. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
٢٢. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٢٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢٤. المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، الدكتور/ عوض الله حجازي، دار الطباعة المحمدية، ط: ٦.

٢٥. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

٢٦. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٧. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢٨. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٩. منازل السائرين، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٤٣
الملخص باللغة الإنجليزية	١٤٤
المقدمة	١٤٥
المبحث الأول: الأحوال الصوفية عند الفخر الرازي، وفيه:	١٥٥
المطلب الأول: الطريقة والشريعة والفرق بينهما	١٥٥
المطلب الثاني: حال المراقبة والقرب والحب	١٦٢
المطلب الثالث: حال الشوق والطمأنينة	١٦٨
المبحث الثاني: المقامات الصوفية عند الفخر الرازي، وفيه	١٧٢
المطلب الأول: مقام التوبة والصبر.	١٧٢
المطلب الثاني: مقام التوكل والرجاء والخوف	١٧٧
المطلب الثالث: مقام الزهد والرضا	١٨٦
المبحث الثالث: التجليات الإلهية عند الفخرالرازي، وفيه:	١٩٢
المطلب الأول: تجليات الباريء على بعض عباده بذاته وصفاته وأفعاله	١٩٢
المطلب الثاني: أنواع التجلي	١٩٥
الخاتمة	١٩٨
المصادر والمراجع	٢٠٠
فهرس الموضوعات	٢٠٤